

الانتقاد على المنار

نريد الاقتراح على العلماء المخلصين بأن يكتبوا إلينا بانتقاد ما يرونه متقددا في المنار من مسائل الدين وغيرها عملا بما أوجب الله تعالى من التواصي بالحق والتعاون على الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ولكننا نشترط ان تكون الكتابة مختصرة بقدر الامكان وان تذكر المسألة المتقدمة ويبين المكان الذي نشرت فيه بأن يقال هي في جزء كذا من مجلد كذا وإذا ذكر عدد الصفحة يمكن ان يستغنى عن عدد الجزء وان لا يحتاج علينا في المسائل الدينية بأقوال بعض العلماء بل بالكتاب والسنة وكذا الأجماع والقياس فيما هما حجة فيه وأن لا يكون في الكلام استطراد الى مسائل أخرى لا تفيد في بيان المراد من الانتقاد . فمن خالف شيئا من هذه الشروط فلنا الخيار في نشر ما يكتبه وتركه أو نشر ملخصه ولو بالمعنى لانه لا يمكن أن نشغل كثيرا من صفحات المنار بالجدل والقبل والقال

انتقاد احمد بدوي افندي

وليعتبر القراء ذلك بانتقاد احمد بدوي افندي النقاش علينا وعلى جميع المسلمين في مسألة القضاء والقدر انتقادا مبهما على غير شرطنا فقد نشرنا كلامه على علته وأجبنا عنه فانتقل الى الانتقاد علينا وعلى سائر المسلمين في عقيدة القسمة (فريق في الجنة وفريق في السعير) وفي علم الله تعالى بأعمال الناس قبل وقوعها فنشرنا كلامه على علته ايضا وأجبنا عنه . فأرسل إلينا ردا آخر يزيد على ثلاثين ورقة أرسلها الى ادارة المنار وأرسلتها الادارة إلينا في القسطنطينية فقرأنا جملا من مواضع منها فإذا هي مملوكة بالتناقض والعسلة والاغلاط اللغوية حتى في بديهيات النحو . وقد لامنا كثير من القراء على ما نشرناه من قبل فإذا يقولون اذا نشرناه هذه الرسالة الطويلة العريضة وما وعد بإرساله بعدها لتوضيح مسائلها ؟ ؟

يقول احمد بدوي افندي اتنا ظلمناه فيما كتبناه عن انكاره لطم الله بجزئيات
أعمال الناس كلها قبل وقوعها وجاء بقدرات من رسالته يحتاج بها علينا في ذلك ثم انه
امانا بقدرات كثيرة ومبرنا بتقليد الغزالي كما عبرنا من قبل بتقليد ابن تيمية فليقل
في ذلك ماشاء ساعده الله تعالى ونحن نتمنى لو يكون مصيبا ونكون مخطئين فيما فهمناه
من كلامه والقراء حكمهم في ذلك .

قد انطبع في ذهن احمد بدوي افندي مسائل في فلسفة الدين مخالفة لما
فهمه المسلمون ولما جروا عليه من الصدر الاول الى اليوم وهو يريد بها في النار
والمناضلة عنها فيه على كونه عاجزا عن يانها وعن فهم ما يرد عليها لضعفه في اللغة العربية
وعلى اعجابه بها بحيث لا يطبق قبول شيء يخالفها فنحن لا نقشر له بهذا الذي نشرناه
شيئا منها لاسباب (منها) ان النار لم ينشأ نقشر فلسفة الافراد الشاذة التي تهوئ
بعض الاذهان ولا تنفع أحدا لما فيها من البطلان في بعض المسائل والعلامة والخطأ
في العبارة (ومنها) عدم الرجاء في ارجاع صاحبها عن خطأه لاجابه برأيه وكونه لا يفهم
ما يوجه اليه من الكلام الربوبي الصحيح فهما تاما وأوضح الآيات على ذلك انه فهم
من قراءة النار في الزمن الطويل ان منشئ النار مقلد لبعض العلماء كالغزالي (وهذا
ما جزم به في رسالته الاخيرة التي لم ننشرها) وانه مع ذلك يدعو الناس الى تقليد
نفسه !!! (ومنها) اضاءة كثير من صفحات النار فيما نعتقد انه يضر ولا ينفع . فلا أحد
بدوي افندي ان ينشر فلسفته في مجلة ينشئها أو كتب ورسائل ينشرها أو يبعث
عن مجلة غير النار

هذا واتنا بعد هذا كله نحترم استقلال الرجل بفهمه وفنونه من بعض الوجوه
على ما نراه مخطئا به ونقول إنه يجوز ان تكون تخطئنا له في بعض المسائل لضعف
عبارة وكونها لا تؤذي مقصده ولكننا نجزم بأنه على استعداد له لفلسفة الدين قد أخطأ
ويخطئ كثيرا في فهم القرآن وفي النظر والاستدلال ولعله لو اتقن اللغة العربية واطلم
على كتب التفسير والحديث وترك الاعجاب برأيه يجي منه خبر كبير والله الموفق

﴿ آدم ابو البشر ﴾

جاءنا من السيد محمد البشير النيفر المدرس بجامعة الزيتونة في (تونس) ما يأتي

« بسم الله الرحمن الرحيم »

فضيلة العلامة الحكيم السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الزاهر أقامنا
الله وإياه على الطريقة المثلى

انا قهرأ في فائحة كل مجلد من منادكم وخاتمة الدعوة الى انتقاد ما يهيم انتقاده
من مسائل الدين أو السياسة وذلك « والحمد لله » من أمتن الينات على طهارة
نيتكم وكنا نود لو يرزقنا الله سعة في الوقت حتى نكتب اليكم في شأن ما أ شكل
علينا من مسائل قليلة جاءت في التفسير وغيره احياء لشعيرة من شمائر الدين أمتها
الجهل بأصوله . وقد رأينا في باب التفسير من العدد السابع من مجلد هذه السنة
(سنة ١٣٢٧) رأيا في أبوة آدم للبشر لا يرضيه القرآن فيما نرى فإدركنا الى الكتابة
اليكم في ذلك ونحن في يقين من نزاهة ضميركم عن التعصب والله الموفق

قلم ان للاستاذ الامام وأمين في تفسير آية « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي
خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها » احدهما أن ليس المراد بالنفس الواحدة
آدم لا بالنص ولا بالظاهر . ثانيهما أنه ليس في القرآن نص أصولي قاطع ينطق
بأبوة آدم للبشر اجمعين . ويظهر لي من جانبكم الرضا عما ذهب اليه « تفمده الله
برحمته » ولكن العبد أشكل عليه الرأيان لما سأين

أما الاول فلأن حمل النفس الواحدة على اصل من اصول العرب لا يرضى
به التعبير بالناس والروايات المستفيضة في مدنية السورة تقعد في طريق من يحمل
الناس على اهل مكة فالظاهر الحل على العموم . وليست الآية الكريمة كآية
الاعراف « هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها »

الآية لوجهين الأول أن سورة النساء مدنية وسورة الأعراف مكية ثانيهما أن في حل آية الأعراف على العموم مسألاً مقام النبوة فما أبعد ما بين الآيتين !
وأما الثاني فلأن القرآن الشريف والسنة السنية ناطقان بآية آدم للبشر اجمعين وانخراج ما جاء في ذلك عن ظاهره رعيًا لمذهب دارون يشبه أن يكون من تفسير القرآن بالرأي الذي كان يشنؤه الإمام « رحمه الله » وجريتم « حفظكم الله » على طريقته في ذلك

نداء القرآن للناس يني آدم في مقام الوصية بأخذ الحذر من وسوسة إبليس وفخته ومقام التشريع العام ظاهر في أن المكلفين عن بكرة أبيهم أبناء آدم عليه السلام وما قلتموه عن الأستاذ الإمام في تأويل ذلك بعيد كما يتجلى لفضيلتكم قليل من التدبر وأية نكتة في توجيه الخطاب إلى بني آدم إذا كان التكليف يشملهم وغيرهم ؟

أما السنة السنية فمن أظهر ما ورد في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « كلكم من آدم وآدم تراب » وما جاء في حديث الأسراء من الاسودة عن عيينة بن آدم وشماله وأنها نسمة بنيت أفكانت أرواح غير الآدميين في مفرآخرام كانت في ذلك المهر ولكن لم يهتم بها آدم عليه السلام ولا النبي صلى الله عليه وسلم إذ لم يسأل عنها لأنها ليس لها في الآخرة مقام معلوم . وأصرح من ذلك وهذا حديث الشفاعة « يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيأتون آدم فيقولون أنت أبو الناس » الحديث . وفي سعة علمكم بالسنة ما يغني العبد عن حشر أكثر من هذا

إن لم تكن الآيات والاحاديث نصوصاً قاطعة في الموضوع فهي ظاهرة فيه والظواهر إذا اجتمعت أفادت القطع كما يقول الأصوليون ولو ذهب ذاهب إلى أنها لا تقيد أكثر من الظن كان للقائل بآية آدم للناس اجمعين أن يسأله عن الوجه في إثبات ذلك الظني على هذا الظني فإن كان الوجه عنده دره ما عساه أن يرد على القرآن من شبهات العلماء القائلين بذلك فالذين لا يؤمنون بالغييب أكثر من أولئك عدداً وأقوى شبهة فهل نؤول الآيات الواردة في عالم الغيب بما لا يكدر مشربهم ويتقض مذهبهم ؟

أما قولكم حفظكم الله تعالى « إن المسألة علمية لادينية - وقولكم - إن المتبادر من

النفس بقطع النظر عن الروايات والتقاليد المسلمات هي تلك الحقيقة الجامعة التي يعبر عنها بالإنسانية - أو قريب من هذه العبارات - فالعبد فيها نظر أما الأول فلأن ما بين دفتي المصحف دين لا شيء منه بجائز مخالفته وهل يأذن الدين لأحد أن يذهب إلى ما لا يصادق عليه القرآن في تكون الجنين باسم علمية هذا البحث أم هل يأذن لأحد أن يقول بما يقضه القرآن في تأريخ فرعون باسم إن المسألة تاريخية ؟

وأما الثاني فلأن تلك الحقيقة الجامعة التي يعبر عنها بالإنسانية أو البشرية أمر اعتباطي لا يصح أن يكون منشأ الخلق والإيجاد هذا ما ينسج له الوقت من البحث وفيما آتى الله فضيلتكم من البسطة في العلم والاستقامة في الرأي ما يقضي عن التذكير بأقل من هذا والسلام عليكم أولاً وآخرًا . وكتب في ٢٧ رمضان عام ١٣٢٧ (المناج) نشكر لا خينا في الله انتقاده وتذكيره وغيرته على الدين والعلم ونجلي ما ألم به من المسائل بما يأتي :

- (١) ان الأستاذ الامام لم ينف كون آدم أبا البشر كلهم ولا قال ان القرآن ينبغي أن يوثر ليوافق دارون أو غيره ولا قال انه قد ثبت رأي الذين ينفون كون آدم أبا لجميع البشر ثبوتاً قطعياً حتى نوثر لأجله كما صرحنا بذلك في تفسير الآية ولم يتكلم أيضاً في تحقيق المسألة في نفسها (مسألة أبوة آدم) وإنما قصارى رأيه انه اذا ثبت ما يقولون لم يكن ذلك مخالفاً للقرآن فيكون شبهة على الاسلام ونحتاج الى التأويل فقل هذا يكون فهمه رحمه الله الآية ليس من تفسير القرآن بالرأي سواء كان فهمه صواباً أم خطأ لأنه لم يحاول ان يرجع القرآن الى رأي رآه أو وافق عليه غيره وانما فهم الآية وأمثالها فيها لا يرد عليه اعتراض ولا مجال معه للطعن في القرآن في هذه المسألة
- (٢) قلتم انه ظهر لكم اني راض عما ذهب اليه قلتم هذا بعد قتل المسألين فعلم منه انكم فهمتم اني راض عنهما كليهما وقد رأيتم في كلامي الجواب عما استدل به من تكبير ما بثه من النفس الواحدة من رجال ونساء وتفسير النفس الواحدة بغير ما فسرهما به رحمه الله تعالى وغير ذلك وفيه الوعد بتحقيق مسألة ما يفيد مجموع آيات القرآن المنزلة في خلق الانسان عند تفسير ما ورد من ذلك في سورة الحجر أو سورة المؤمنين ،

فلم من هذا الوعد اننا لما نرين رأيا فيما يدل عليه مجموع القرآن في خلق الانسان وانما كلامنا محصور في تفسير تلك الآية بحسب ما فهمه الاستاذ الامام وما فهمه هذا العاجز من تلاميذه المستقلين الذين لا يقدرونه تقليدا في شيء ما وما كان يرضى ان يقلده أحد في شيء وانما كان يبحث على الاستقلال . وبعد هذا كله أقول ان ما استظهرتموه صحيح في الجملة وسترون وجهه فيما يلي هذا من الوجوه والمسائل

(٣) ذكرتم ان للاشكال عندكم مثارين : فأما المثار الاول وهو كون السورة مدنية لا يجوز ان يراد بالناس فيها أهل مكة فان الخطب فيه سهل فانكم قد رأيتم اننا اعتمدنا كون السورة مدنية وكون الخطاب فيها ليس لأهل مكة خاصة ولكن هذا لا يقتضي كون القول بهذا شاذا فانه معزو الى امام المفسرين ومعولهم وهو ابن عباس (رض) وعبر الرازي عن مقابله بالاصح ومقابل الاصح هو الصحيح ، فان لم يكن الخطاب لاهل مكة جاز ان يكون للعرب عامة ولا يقعد في طريق هذا كون السورة مدنية ولا كون الاسلام ديننا عاما كما انه لا يقعد في طريق غيره من الخطاب الذي وجه الى العرب أو الى بعض الاقوام أو الاشخاص فان عموم الاحكام الشرعية معتبر فيما كان مورده خاصا ولو شخصا ما لم يعمد دليل على الخصوصية . مثال ذلك في العرب قوله تعالى (١٢٨:٩) لقد جاءكم رسول من أنفسكم) فان تفسير أنفسكم بالعرب لا ينبغي كون الرسالة عامة لجميع البشر . ومثاله في الامور الشخصية ماورد في الاثناء عقب استفتاء بعض المؤمنين وأستثمهم المعبّر عنها بمثل يسألونك ويستفتونك كما هو مكرر في سورة البقرة وسورة النساء وكان يكون المخاطب بالجواب هو السائل والحكم عام بالاجماع . على اننا لم نجعل كون الخطاب لاهل مكة هو العمدة في الاستدلال على ما فسرنا به النفس الواحدة ولا كونه للعرب وسبأني مزيد بيان لهذه المسألة

(٤) وأما المثار الثاني للاشكال وهو ماورد من الكتاب والسنة في أبوة آدم لجميع البشر فهو على تقدير تسليمه فيهما معا لا يقتضي كون النفس الواحدة في الآية الاولى من سورة النساء هي آدم اذ يجوز ان يثبت ذلك في آيات غيرها واحاديث ولا يكون هو المراد منها ولم يقل الاستاذ الامام ولا قلنا ان هذه الآية تنفي كونه أبا لجميع البشر .

ولكم ان تحتجوا بذلك على قوله رحمه الله إنه ليس في القرآن نص أصولي قاطع على أبوة آدم لجميع البشر وستعلمون ما فيه

(٥) انكم قد ذكرتم ان حمل آية الاعراف على المصوم لا يصح لأنه يس مقام النبوة فإذا امتنع هناك أن يكون المراد بالنفس الواحدة آدم فلم لا يجوز ان يتمتع هنا وهو ليس متبادراً من اللفظ العربي بمجذاته حتى قول اننا أولنا آية الاعراف لتطابق القول بمصمة الانبياء ولا حاجة الى تأويل آية النساء. فالصواب ان عدم حمل النفس الواحدة على آدم في الآيتين ليس تأويلاً لها لان لفظ النفس ليس مرادفاً لكلمة آدم يوضح ذلك الوجه الآتي

(٦) ان ما يرد في تفسير مبهمات القرآن لا يجعل اللفظ المبهم نصاً ولا ظاهراً في المعنى الذي فسره في الحديث ولا في القرآن نفسه ان وجد ولكننا قبل ذلك التفسير اذا صح عندنا. مثال ذلك أن يصح في حديث ان المراد بقوله تعالى (وجاء رجل من أقصى المدينة يسمي) هو فلان بن فلان فأتنا قبل هذا التفسير على الرأس والعين ولكننا لا نقول ان لفظ رجل في الآية هو نص أو ظاهر في ذلك الرجل المعين لان العربي الذي لا علم له بذلك الحديث لا يفهم هذا المعنى من اللفظ ولم يرد في الكتاب ولا في الحديث تفسير للنفس في آية النساء بآدم ألبتة فكيف نقول ان ما ورد في ذلك يحملها نصاً أو ظاهراً وهو لم يرد تفسيراً لها؟ وهذا هو مرادنا بما قلناه في (ص ٨٦م ١٢) ان الذين فسروا النفس الواحدة بآدم لم يأخذوا ذلك من نص الآية ولا من ظاهرها بل من المسألة المسلمة عندهم وهي ان آدم أبو البشر

(٧) استدلل صديقنا المتقدم على كون جميع الناس من بني آدم بنداء الله تعالى في القرآن لبني آدم في مقام الوصية بالخير من فتنه الشيطان ووجه الاستدلال عنده أنه اذا لم يكن المراد ببني آدم جميع المكلفين لا يكون في توجيه الخطاب اليهم نكته. ويمكن أن يجاب بأن نكته ذلك في الآية التي أشار إليها هي إقامة الحججة عليهم بما كان من عاقبة وسوسته لا يهيم والمعبرة في ذلك لسائر المكلفين الذين لا يعتقدون انهم من ذرية آدم كأهل الصبن هي ان الشيطان يردي من اطاعه فيجب أن يحتجوا

طاعته كما يجب ان يجتنبها أبناء آدم . ونظير ذلك اعتبار المسلم بمثل قوله تعالى «يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والأنجيل» فيعلم انه لا يكون على شيء يعتد به من الاسلام حتى يقيم القرآن . وقد أشارت عائشة الى هذا المعنى في حديث لمن أهل الكتاب الذين انحدوا قبور أنبيائهم مساجد فقالت «يخجلوا ما صنعوا» وقد بينا آفا ان توجيه الخطاب في القرآن الى قوم أو أناس معينين لا ينافي عموم التكليف فإذا فرضنا ان بني آدم هم العرب ومن كان يساكنهم من أهل الكتاب وان الخطاب في مثل تلك الآية خاص بهم لوجود النبي بينهم فلا يمنع ذلك ان يعتبر بالموعظة التي في الخطاب من يدخل في الاسلام من غيرهم . ومن ذلك خطاب الانصار بقوله تعالى «١٥٣: ٣» واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » وهي هداية لجميع المسلمين أيضا كما قبلها وبعدها

(٨) بعد هذا يمكن ان يقال اذا كان في البشر ألوف الالوف لا يعتقدون أنهم أبناء آدم ولم يسموا باسم آدم فما هي نكتة خطابهم ودعوتهم الى الاسلام بنسبتهم الى آدم والمأثور المقول ان يخاطب الناس بما يعرفون وأن يحمل حديث الطافل للقوم على ما يسهلون في مثل النداء فان أراد إعلامهم بشيء مخالف لما يعتقدون جاء به بصيغة الخبر المؤكد كما هي سنة القرآن المطابقة لقوانين البلاغة العليا ويشيرون الى هذا في أول كتب المعاني وفي صحيح البخاري من حديث علي موقفا حدثوا الناس بما يعرفون « انهم يكذب الله ورسوله » وفي مقدمة صحيح مسلم عن ابن مسعود « ما أنت بمحدث قوم حديثا لا تبالغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة » . وورد في الضعاف المتعددة الطرق عن ابن عباس مرفوعا « أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم » وهذا الوجه أي كون كثير من البشر لا يعرفون آدم ولا يعتقدون أبوتهم هو العمد في جزم الاستاذ الامام بعدم حل آية أول النساء على هذه المسألة المشهورة عند المبرانيين والعرب مع كون لفظها ليس نصا ولا ظاهرا فيها من حيث لفظها وقد أجاز ان يطبق كل قوم اعتقادهم عليها

(٩) ان ما أوردتموه من الاحاديث ليس نصا أصليا في المسألة فان المخاطبين بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « كلكم من آدم » لم يكن فيهم أحد من الصينيين ولا من هنود

أمريكا ولا من أهل ملقا ولكن الحديث يكون هداية لهؤلاء ، بعد دخولهم في الاسلام على الطريقة التي أشرنا اليها في بعض المسائل السابقة . وكذلك حديث الاسود التي رآها النبي (ص) عن يمين آدم وشماله لا تدل على كونه أبا لجميع البشر . ولا يعارض هذا كونه (ص) لم يذكر انه رأى هناك أو في مكان آخر اسم قوم آخرين من البشر كما أن ذكره لبعض الانبياء في ذلك الحديث لا يمنع ان يكون هناك أو في مكان آخر أنبياء آخرون فالحديث لم يرد في بيان مقر جميع أرواح البشر والأنبياء ولا دليل فيه على كون ما رآه يكون دائما حيث رأى فقد ورد في مقر الارواح أحاديث أخرى والظاهر ان ما رآه صلى الله عليه وآله وسلم في تلك الليلة قد مثل له حيث رآه لأجل ان يراه والله أعلم حيث يكون في سائر الاوقات ، وقد مثلت له (ص) الجنة في عرض الحائط وهي التي عرضها كعرض السماء والارض . وكذلك يقال في حديث الشفاعة فان تحدث ولد آدم بالذهاب اليه هو كتحدث اتباع كل نبي ذكر في الحديث بالذهاب اليه ولا ينافي ذلك ان يكون في البشر أقوام آخرون لا يتحدثون بالذهاب الى أحد أو يتحدثون بالذهاب الى أنبيائهم لرجائهم فيهم ، وان من أمة الا خلا فيها نذير .

(١٠) اذا فرضنا ان هذه الاحاديث تدل وحدها أو مع غيرها على كون آدم عليه السلام أبا لجميع من وجد في الارض من البشر بالنص أو بالظاهر فلا يقتضي ان يكون ذلك تفسيرا للقرآن اذا لم يكن لفظه نصا ولا ظاهرا في ذلك والاستاذ الامام لم يتعرض لما ورد من الاحاديث في المسألة وانما اكتفى ببيان كون ما يعتقده كثير من البشر في أصلهم ومنشئهم لاحجة فيه على القرآن إن صح ولا وجه لأن يكون حائلا دون إيمانهم به ولم يتعرض لمثل هذا في الاحاديث

(١١) نحن نعتقد ان اسلوب القرآن في الاجال والابهام والاطلاق والعموم هو من أقوى وجوه الاعجاز فيه واسباب تعاليه عن تطرق الريب اليه ونحويم الشبهات حوله وليس هذا الاسلوب بالصناعة التي يقدر عليها البشر فاننا نرى أعلم العلماء منهم في علم أو فن يؤولف فيه كتابا فلا يمر عليه الا زمن قليل حتى يظهر له وانحره الاختلاف والخطأ فيه وقد مر ثلاثة عشر قرونا ونيف ، لم يظهر غير هذا القرآن

الذي جاء به النبي الأمي الناصي في الآمين خطأ ولا اختلاف (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) والاحاديث ليس لها هذه المزية في الاعجاز وكثير منها منقول بالمعنى ومنها ما كان يقوله النبي (ص) عن اجتهاد لا عن وحي ولا سيما المتعلق منها بأمور العالم دون أمور الدين . أفيصعب على بعض المسلمين إظهار هذه المزية لكتاب الله في بعض المسائل على غير الوجه المشهور عندهم وإن لم يتقضى ذلك المشهور في نفسه !! وكان ينبغي للمتقدم أن يذكر ما عنده من الجواب لمن يوقنون بأن البشر من عدة اصول كما تمنينا في (ص ٤٨٨ م ١٢)

(١٢) يقول المتقدم ان شبهات الذين لا يؤمنون بالغيب على الآيات الواردة في عالم الغيب أقوى من شبهات الذين ينكرون كون آدم أباً لجميع البشر أو يعتقدون ان لهم عدة آباء فهل نوئل آيات عالم الغيب بما لا يكدر مشربهم ولا ينقض مذهبهم ؟ ونقول ان هذه الدعوى ممنوعة فالذين لا يؤمنون بالغيب لا يوردون شبهات على عالم الغيب وإنما هم قوم تابعون لحسبهم يقولون اننا لا نوئم الا بما نراه أو نحس به وهم يعلمون ان عدم الاحساس بالشيء أو عدم العلم به لا يقتضي عدمه في نفسه ومن تقوم عنده الحجة منهم على الوحي والنبوة لا يرى اخبار عالم الغيب مانعة من ايمانه وما كنت أظن ان هذا يخفى على المتقدم الفاضل ولعله مرى اليه من بعض المارقين الذين كبروا بالله ورسله تقليدا لبعض الافرنج اذ يسمعونهم أو يسمع عنهم انكار الملائكة والجن فليسألهم عن دليل هذا الانكار هل يجد عندهم دليلا او شبهة ؟ لا لا ! وإنما يقولون انه لم يثبت عندنا بالحس ولا بالدليل العلمي ! ونحن المؤمنون نقول مثل ذلك ونزيد انه ثبت عندنا بخبر الصادق الذي هو اصدق ممن تثقون بخبرهم اذا قالوا لكم ان في الكون كذا كذا من الغرائب الطبيعية

(١٣) أذكر المتقدم بمسألة لا ينبغي أن ينساها المستقل في العلم الذي يعنيه أن يفهم القرآن فهما صحيحا وقد صرحنا بها في النار من قبل وهي ان الاصطلاحات الشرعية والفنية الحادثة بعد نزول القرآن والروايات والتقاليد المشهورة في تفسيره - هذان الامران هما اللذان يحولان كثيرا دون فهم القرآن بما تمطيه عاوته الفصحى

ويبادر من أسلوبه الأعلى فيجب أن يكون القرآن فوق الاصطلاحات والمسلات كلها وأن يستعان على فهمه بالروايات الصحيحة التي لا تخل بما يتبادر من عبارته وأسلوبه البليغ وحكمة كونه هداية لجميع البشر في كل زمان ومكان وإنما نرى كثيراً من المفسرين يخطئون عند غفلتهم عن هذه القاعدة ويخالفون الروايات المأثورة عن السلف عند تنبيههم لها إذا رأوا الرواية مخالفة لما يقتضيه الأسلوب العربي بحسب فهمهم ومن ذلك ما ستره في تفسير الجزء الثاني عن ابن جرير شيخ المفسرين الأولين

(١٤) أما انتقاده نفساً الله بغيره على العلم والدين لقولنا إن المسألة علمية لا دينية فإني أجيبه عنه بالإيجاز وإن لم أتدكر أنني قلت هذا في تفسير الآية ولا أجد وقتاً للمراجعة فأقول إن ما يذكر في القرآن من أمور الخلق وعجائبه وأسراجه لا يراد به شرح أحوال المخلوقات وبيان ما هي عليه في الواقع تفصيلاً لأن هذا ليس من مقاصد الدين وإنما يذكر على أنه من الآيات على قدرة الله وعظمته وحكمته في خلقه ورحمته بعباده ، ومن المنبهات للاعتقاد بما في هذه المخلوقات والشكر عليها ، ولذلك يستعمل فيها المجاز والظواهر المتعارفة بين الناس وتحديد المسائل العلمية لا يكون بمثل هذا كقوله تعالى « وجدها تغرب في عين حنة » فلا يراد به أن ذا القرانين وجد الشمس تنزل من السماء فتغرب في عين حنة من عيون الأرض ، ومع هذا كله لا يكون خبر القرآن إلا صادقاً ولكننا لا نعرف إن أحداً من علماء المسلمين عني كنايةنا وعناية شيخنا الأستاذ الإمام بالدعوة إلى الاهتمام بالقرآن كله وصرف معظم عنايتهم إلى ما كثر الإرشاد إليه في آياته كالبحث في خلق السموات والأرض وما فيهما من البحار والأنهار والجبال والنبات والدواب وغير ذلك وكالسبر في الأرض والاعتبار بسنن الله في أحوال الأمم بعد معرفة تأريخها ، فإنا نرى علماء المذاهب الدينية فيما قد أهلوا أكثر ما أرشد إليه القرآن وجعلوا الدين كله أو جلّه محصوراً في الأحكام العملية التي لم يعن القرآن بها وهي أقل ما ورد فيه ولا سيما الأحكام الدنيوية كالبيع والشركات والمعاملات فلا يقال لنا إن كل ما في القرآن دين وإن الدين لا يأذن لأحد أن يقول قولاً لا يصادق

عليه القرآن فنحن الذين ندعو دائما الى جعل حكم القرآن فوق كل حكم وهدية فوق كل هدي وخبره فوق كل خبر وانما يقال ذلك لغيرنا من علماء المسلمين الذين قالوا حتي في الاحكام التي هي عندهم جل الدين ما لم يصادق عليه القرآن كقولهم ان مدة الحمل تكون في الواقع المعبر شرعا اكثر مما حدده القرآن من مدة الحمل والفصال جميعا وقد رأى صديقنا المتقدما كتبناه في ذلك بالجزء الاخير من المجلد الماضي . فاذا جاز ان يعتمد آئمة الفقهنا على قول بعض النساء اللواتي هن مظنة الخطأ والكذب فيما لا يصادق عليه القرآن وقد نطق بغيره بناء على ان ما نطق به يحمل على الغالب المعروف عند جمهور الناس فلم لا يجوز عند اتباعهم ان يعتمد على قول جمهور العلماء الباحثين المدققين في مسألة علمية لم يرد في القرآن نص فيها وإنما ذكرت مبهمة في سياق مقصد من مقاصده كحث الناس على ان يتقوا الله في ذوي أرحامهم والضيضاء منهم لانهم من أصل واحد أو جنس واحد وعبر عن ذلك بالنفس الواحدة ولكنه لم يبين حقيقة تلك النفس . على اننا لم نحمل الآية ولا غيرها من الآيات على ما قاله أولئك العلماء الباحثون في أصول البشر وخلفهم ولكننا اخترنا ان ندع ما أبهمه القرآن على إيهامه (ص ٤٨٦ م ١٢) وهو تنكير تلك النفس وعدم تعيينها أو فهمها مما يتبادر من اللفظ العربي بصرف النظر عما وراءه من الروايات والتقاليد المسلمات التي ليست بنص عن المعصوم في تفسيرها (ص ٤٨٨ م ١٢)

(١٥) وأما انتقاده الاخير على قولنا في تفسير النفس المتبادر من اللفظ فقد بناء على ذكر لفظ الانسانية في عرض كلامنا وتفسيره إياه بالمعنى المشهور بين العامة فامسياه مفسرناه به وما عبرنا به في أول العبارة عنه من قولنا هو الماهية أو الحقيقة التي بها كان انسانا . ونعني بذلك الروح الانسانية التي انحدت بالجسد فصار مجموعها حيوانا ناطقا لولاها لم تكن هذه المواد الترابية التي تكون منها جسد الانسان خلقا آخر حيا ناميا متحركا . فهل يقول ان هذه الحقيقة الانسانية أمر اعتباري ؟ كلا إنها خلق وجودي مستقل

(١٦) بعد ان طبع تفسير تلك الآية في المنار قبحناه وزدنا فيه فوائد

اقتناها في نسخة التفسير التي تطبع على حديثها منها ان لبعض الباحثين من المسلمين العصريين رأيين آخوين في النفس الواحدة أحدهما انها الانثى ولذلك وردت مؤتة في كل آية وصرح بذلك زوجها الذي خلق منها في بعض الايات وثانيهما انها كانت جامعة لاعضاء الذكورة والانوثة وذكروا لذلك نظائر أثبتها العلم الحديث . فيراجع هذا في (ص ٣٣١ ج ٤) من التفسير وسيصدر بعد زمن قليل

هذا ما سمع لنا به الوقت من ايضاح المسائل المتعلقة بهذا الانتقاد وصفوة القول ان ما أوردناه في التفسير لا ينفي القول بآدم لجميع البشر وقد وعدنا هنالك بتحرير هذه المسألة في موضع آخر من التفسير